محرم الحرام: أمل وعطاء ، عظات وعبر ، تربية للأجيال

Muharram: hope and tender, and through sermons, breeding for generations

١٤٣٨هـ ٢٠١٧م

ا.د. شاكر عبد مرزوك

كلية الحكمة الجامعة

Study and realization of

Dr. Shaker Abid Marzooq

مستخلص البحث

إن الله تعالى يسر لعباده سبل الخير ، وفتح لهم أبواب أبواب الرحمة، فرتب الأجر الجزيل على العمل اليسير فضلاً منه ومنَّة على عباده ، وجعل الخير والبركة والأجر العظيم في مواضع وأماكن معنية . ومن مواسم الخير والمغفرة شهر محرم الحرام على وجه العموم ، ويوم عاشوراء على وجه الخصوص الذي شهد أحداثاً تاريخية جسيمة تستوجب التعرف عليها واستخلاص العبر والدروس منها لتربية الأجيال.

Summary

That God is pleased to worship the good ways, and open doors for them the doors of mercy, He got pay very much for it to work as well as easy-ment and the slaves, and to make good and blessing and a great reward in positions and places involved. And seasons of goodness and forgiveness month of Muharram in general, and the day of Ashura, in particular, which has seen historic events require serious recognizable and draw lessons from them for breeding generations.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، محمد الرسول الأمين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الغير الميامين، وعلى من تبع هديه إلى يوم الدين.

أما بعد :

فإن الله تعالى يسر لعباده سبل الخير، وفتح لهم أبواب الرحمة، فرتب الأجر الجزيل على العمل اليسير فضلاً منه ومنَّة على عباده ، وجعل الخير والبركة والأجر العظيم في مواضع معنية ، مثل مكة المكرمة ، وفي أزمان معينة مثل ليلة القدر .

ومن مواسم الخير والمغفرة شهر محرم الحرام على وجه العموم ، ويوم عاشوراء على وجه الخصوص الذي شهد أحداثاً تاريخية جسيمة تستوجب التعرف عليها واستخلاص العبر والدروس منها ، ولاسيما أن كثيراً من فضائل الشهور والأيام تختلط فيها الأخبار الصحيحة والمقبولة مع الموضوعة التي لا صحة لها .

وقد بين الله تعالى فضل تعظيم حرمات الله وشعائره، فقال سبحانه: **(ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ)** [الحج:٣٠]،

وقال تعالى: **(ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ)** [الحج: ٣٢] .

وهذه نبذة عن فضل هذا الشهر الحرام وتاريخه وفضل اليوم العاشر منها: عاشوراء ، نستحضرها ونستذكرها بما ينفعنا في آخرتنا ودنيانا ، وينفع من خلفنا في هذا البحث المعنون **(محرم الحرام: أمل وعطاء ، عظات وعبر ، تربية للأجيال)** .

وقد اشتمل هذا البحث على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : في فضل شهر محرم .

المبحث الثاني : في فضل يوم عاشوراء .

المبحث الثالث : الدروس التربوية .

والله ولي التوفيق.

المبحث الأول

فضل شهر محرم

لقد اختص الله تعالى شهر محرم وهو أول شهور السنة الهجرية بفضيلة خاصة به .

وعن سر تفضيل بعض الأزمان والأماكن يقول العز بن عبدالسلام: "وتفضيل الأماكن والأزمان ضربان: أحدهما: دنيويٌّ.. والضرب الثاني: تفضيل ديني، راجع إلى أنَّ الله يجود على عباده فيها بتفضيل أجر العاملين، كتفضيل صوم رمضان على صوم سائر الشهور، وكذلك يوم عاشوراء.. ففضلها راجع إلى جود الله وإحسانه إلى عباده فيها"(١).

أي إن فضية هذا الشهر هي من فضل الله تعالى على عباده بأن يجعل لبعض الأزمان أو الأماكن بركة خاصة بها يضاعف فيها ثواب الأعمال الصالحة.

أما عن تسمية هذا الشهر بالمحرم ، فهناك قولان:

الأول : سمي هذا الشهر محرمًا لتحريم القتال فيه(٢).

وقيل : لتحريم الجنة فيه على إبليس(٣)، والأوّل أصحّ.

وقد بين سبحانه وتعالى في كتابه الكريم فضل هذا الشهر فقال جل جلاله: **(إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُم)** [التوبة:٣٦].

وقد أكد النبي ﷺ فضل هذا الشهر ، وبيَّن أنه من أفضل الشهور للصوم بعد صيام رمضان، فقال ﷺ : « أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله الذي تدعونه المحرم»(٤).

وقد سمى النبي ﷺ المحرم : شهر الله، وإضافته إلى الله تدل على شرفه وفضله؛ فإن الله تعالى لا يضيف إليه إلا خواص مخلوقاته، وقد قيل في معنى إضافة هذا الشهر إلى الله عزّ وجل: إنه إشارة إلى تحريمه إلى الله عز وجل، ليس لأحد تبديله، كما كانت الجاهلية يحلونه ويحرمون مكانه صفر، فأشار إلى أنه شهر الله الذي حرمه، فليس لأحد من خلقه تبديل ذلك وتغييره(٥) .

ومع تعظيم هذا الشهر ، إلا أن بعض أيامه أفضل من أيامه الأخر، وهي العشر الأول ، فقد كان المسلمون الأول يعظمون ثلاث عشرات: العشر الأخير من رمضان، والعشر الأول من ذي الحجة، والعشر الأول من محرم(٦).

ويبين الحسن البصري أحد وجوه عظمة هذا الشهر بقوله : " إن الله تعالى افتتح السنة بشهر حرام - أي المحرم - وختمها بشهر حرام - أي ذي الحجة - فليس شهر في السنة بعد شهر رمضان أعظم عند الله من المحرم .. وكان يسمى شهر الله الأصم، من شدة تحريمه " (٧) .

واختلف العلماء في أفضل شهور السنة ، فذهب بعضهم إلى أن أفضل شهور السنة هو شهر الله المحرم ، في حين ذهب جمهورهم إلى أن أفضل الشهور رمضان، ثم يليه محرم(٨) .

وهذا الذي يبدو راجحاً للفضائل العظيمة لشهر الصوم ، ولتفرده بعابدة خاصة به هي الصوم .

ويؤكد هذا ما روي أنه سأل رجل الإمام علي ﷺ فقال: ((أي شهر تأمرني أن أصوم بعد شهر رمضان؟ قال له: ما سمعت أحداً يسأل عن هذا إلا رجلاً سمعته يسأل رسول الله ﷺ وأنا قاعد عنده. فقال: يا رسول الله أي شهر تأمرني أن أصوم بعد شهر رمضان؟ قال: إن كنت صائما

بعد شهر رمضان فصم المحرم، فإنه شهر الله فيه يوم تاب فيه على قوم، ويتوب فيه على قوم آخرين)) [٩] .

ومن الأحداث المهمة في هذا الشهر هجرة موسى عليه السلام بقومه من مصر إلى فلسطين ، قال تعالى : **(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٥) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ)** [إبراهيم : ٤ - ٥] .

فقد أمر الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام أن يخرج قومه من الظلمات إلى النور، من ظلمات الذل والاستضعاف ، إلى نور العزة والكرامة لحمل راية التوحيد وإقامة الدين ، ومن أجل تحقيق ذلك، أمره الله تعالى أن يذكر موسى عليه السلام قومه بأيام الله[١٠] .

ولا شك أن الأيام كلها أيام الله؛ لكن هذه الأيام لها خصوصية، إذ تجلت فيها قدرة الله تعالى ، فنصر القلة المستضعفة ، وقصم الكثرة المتجبرة ، وخذلها وردها بغيظها ، فهي أيام سبقها استسلام للطغاة ، وقد ظن المستضعفون أنه لا طاقة لهم بفرعون وجنوده .

وسرعان ما يقوم موسى عليه السلام خطيباً في قومه يذكرهم بيوم من أيام الله عظيم ، يوم أنجاهم سبحانه من فرعون وجنوده ، وقد كان آل فرعون يسومونهم سوء العذاب ويذبّحون أبناءهم ويستحيون نساءهم ، ليستنهض هممهم ويقوي عزائمهم للمهمة العظيمة التي ستناط بهم من بعد خروجهم من مصر، والتذكير عام بجميع النعم ، وقد تسمى النعم أياماً[١١].

فقد شهد هذا الشهر المحرم هجرة موسى ببني إسرائيل من مصر، وهذا الحدث من الأحداث المهمة في التاريخ ، إذ إن نجاح هذه الهجرة كان إيذاناً بانتشار تعاليم السماء الممثلة بالديانة اليهودية آنذاك ، ووضع حد لطغيان فرعون وظلمه وجبروته .

وقد جرت في هذا الشهر أحداث كثيرة خطيرة سيجري الحديث عنها عند ذكر فضائل يوم عاشوراء .

المبحث الثاني

فضل يوم عاشوراء

ابتداء فإن عاشوراء هو اليوم العاشر من المحرم، وهو اسم إسلامي لا يعرف في الجاهلية[١٢] .

وإن فضل يوم عاشوراء متأتي من أمرين : أولهما كونه أحد أيام شهر الله الحرام ، والثاني لفضائل خاصة بهذا اليوم نفسه .

وفضله قديم ، فقد روي في الأثر أنه اليوم ((الذي تاب فيه الله عز وجل على آدم عليه السلام وعلى مدينة يونس، وفيه ولد إبراهيم عليه السلام)) [١٣] .

وقد ورد في الحديث الشريف أنه اليوم الذي استوت فيه سفينة نوح عليه السلام على الجودي ، فصامه شكراً لله تعالى[١٤] .

وقد صام هذا اليوم اليهود شكراً لله تعالى ، إذ هو اليوم الذي أنجى الله تعالى فيه موسى من فرعون ، فقد قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: « ما هذا » ؟ قالوا:

هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى، قال: « فأنا أحق بموسى منكم» ، فصامه وأمر بصيامه[١٥] .

و((كان يوم عاشوراء تعظمه اليهود وتتخذه عيداً)) [١٦] .

وفي رواية ((كان أهل خيبر يتخذونه عيداً، ويلبسون نساءهم فيه حليهم وشارتهم))[١٧].

ويبدو أن هذا التقليد انتقل إلى العرب قبل الإسلام ، فقد ثبت أنه **((كان يوم عاشوراء يوماً تصومه قريش في الجاهلية، وكان رسول الله ﷺ يصومه في الجاهلية، فلما قدم رسول اللهﷺ المدينة، صامه، وأمر بصيامه))** [١٨] .

وقيل : **"لعل قريشاً كانوا يستندون في صومه إلى شرع من مضى كإبراهيم عليه السلام"**[١٩] .

ويوم عاشوراء هو اليوم الذي كانت العرب تكسى فيه الكعبة قبل الإسلام[٢٠].

وقد قال النبي ﷺ : **« صيام يوم عاشوراء: أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله»**[٢١] .

ومثلما صامه النبي ﷺ وأمر بصيامه ، فقد أمر بصيام اليوم التاسع من محرم، فقال ﷺ : **« لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع »**[٢٢].

والحكمة من استحباب صيام اليوم التاسع يبينها ابن حجر بقوله : " ما همَّ به من صوم التاسع يحتمل معناه أن لا يقتصر عليه، بل يضيفه إلى اليوم العاشر، إما احتياطاً له، وإمَّا مخالفة لليهود والنصارى، وهو الأرجح"[٢٣] .

وهذا يبين ما لهذا اليوم من فضل عند المسلمين وعند غيرهم، إذ شهد هذا اليوم عدة تحولات تاريخية خطيرة ، فقد رست فيه سفينة نوح ، وهذا يعني الحفاظ على الجنس البشري ، كما أنه يوم نجاة موسى عليه السلام وهذا يعني نجاح انتشار الديانة اليهودية .

وعلى خلاف الأحداث السابقة التي اتصف بالفرح ، فقد حصل في هذا اليوم مأساة عظيمة تمثلت باستشهاد الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، سبط رسول الله ﷺ ، وكان ذلك في يوم الجمعة، سنة إحدى وستين بكربلاء ، وله من العمر ثمان وخمسون سنة[٢٤] .

وهذا اليوم من المصائب العظيمة على الأمة ، كما كان من أعظم أسباب الخلاف في هذه الأمة ، وأنه سابقة خطيرة أن يقتل حفيد النبي ﷺ وما يعنيه هذا من جرأة على الدين وعلى رموز الإسلام .

وتعد ثورة الحسين عليه السلام أهم الثورات التي شهدها العهد الأموي، لأبعادها الدينية والسياسية المهمة، فعلى الرغم من صغر حجم القوة العسكرية التي شارك فيها الجانبان، إلا أن الحسين عليه السلام امتلك جملة من الفضائل لم يملكها غيره عندما حدث له ما حدث، فجده الرسول ﷺ ، وأمه فاطمة الزهراء ـ رضي الله عنها ـ ، وأبوه علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

المبحث الثالث

الدروس التربوية

إن الدروس التربوية المستنبطة من فضيلة شهر محرم الحرام ، ومن يوم عاشوراء وما فيهما من حوادث تاريخية خطيرة يمكن أن يتخذ منحنيين : أولاهما : النصر والاستبشار بنعمة الله تعالى وما يمثله هذا من دروس تربوية ، وثانيهما: مأساة الحسين عليه السلام وما مثلته تضحيته من دروس تربوية .

المنحى الأول : الاستبشار بنصر الله :

قد يسأل سائل : ما العلاقة بين الاستبشار بنصر الله وبين الصوم ، أو ما هي العلاقة بين نجاة موسى عليه السلام وبين الصوم ؟ فإن كان هذا اليوم عيداً أو مناسبة للاحتفال عند اليهود ، فما وجه صيامه مع أن الأعياد لا يصام فيها ، ولماذا أمرنا بصيام هذا اليوم وهو مناسبة يهودية ليست إسلامية ؟

الجواب عن الشطر الأول : إن الصيام خير معين للتفكر والتأمل والتدبر والاستحضار، ويؤيد هذا اقتران صوم رمضان بنزول القرآن،

كما قال تعالى:**(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ)** [البقرة:١٨٥] وفي هذا تأكيد للعلاقة القائمة بين نقاء النفوس والأبدان وبين القرآن الكريم.

فضلاً عن أن التفكر والتأمل في حال الصوم وهو حالة تعبدية غير التأمل والتدبر في حال غير الصوم إذ إن التأمل في حال الصوم سيدفع المتأمل إلى فضاءات إيمانية خلاقة قد لا يبلغها غير الصائم .

كما أن الصوم بوصفة عبادة يتقرب فيها العباد إلى الله تعالى ، تناسب شكر المنعم على نعمه ، كما قال تعالى (**وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ)** [إبراهيم : ٥] والصوم نصف الصبر كما جاء به الحديث الشريف[٢٥] ، وهذا مدعاة لديمومة النعم كما قال سبحانه : (**لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**) [إبراهيم : ٧] .

أي إن الصوم هو صيغة علمية فعلية للتعبير عن شكر الله تعالى على ما تفضل به من نعمة بإنقاذ موسى عليه السلام وبني إسرائيل من استعباد فرعون ، ومكن الله تعالى بني إسرائيل في الأرض بعد أن كانوا مستعبدين .

أما صومنا نحن فله وجوه كثيرة ، أبرزها أن نجاة موسى عليه السلام هو نصر لنبي من أنبياء الله ، وما تحقق من نصرته يصب في إطار نصرة المؤمنين في كل زمان ومكان ، وهذا شبيه بما ذكره الله تعالى من فرح المؤمنين بغلبة الروم على الفرس **(غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ)** [الروم : ٢ ـ ٥] ، ففرح المؤمنين لكونهم ملة واحدة كما أن الكفر ملة واحدة .

كما قال النبي ﷺ : « الأنبياء أبناء علات »[٢٦] ، وأبناء العلات : هم الأخوة لأب من أمهات شتى، " والمعنى أنهم متفقون في أصل التوحيد وشرائعهم مختلفة "[٢٧] ، وهذا مدعاة لفرح المسلمين بنجاة موسى عليه السلام .

وقوله ﷺ : « فأنا أحق بموسى منكم» ، يفهم منه أن نبينا ﷺ كان يتبع طريق الأنبياء

فيما لم يشرع له مثله أو خلافه، وأنه على سننهم[٢٨] .

وحين قرر النبي ﷺ أن يصوم التاسع مع العاشر ، فليس ذلك مخالفة لأهل الكتاب وتميزاً عنهم فحسب ، بل لمزيد الاعتناء بهذا اليوم وإعلاناً عن شكره لله تعالى على نصرة موسى عليه السلام ، وأن هذا الشكر هو اللائق بوحدة الأنبياء .

فمن أهم الدروس التربوية التي ينبغي غرسها في النفوس أن على المؤمن واجب الشكر لله تعالى على نعمه، وأن الشكر والفرح بهذه النعمة لا يكون بالمعاصي بل بمزيد من الطاعات لضمان ديمومة هذه النعم من جهة ، ولزيادتها من جهة أخرى.

ومع أن الشكر يتحقق باللسان ؛ لكن تمام الشكر أن يتم بالجوارح أيضاً ، كما هو الحال في الصيام.

والدروس التربوية لا تقف عند هذه الحدود ، بل تتعداها إلى جوانب تربوية أخرى ؛ فإن شكر الله تعالى على نعمه يربي في الإنسان فضية شكر الآخرين على ما يسدوه إليه من نعم أو من مواقف حسنة ؛ لأن الشكر هو: الاعتراف بالإحسان[٢٩]، وان الشكر يقع على ثلاث مراتب وهي: شكر القلب، وشكر اللسان، وشكر الجوارح[٣٠].

ومع أن الشكر كما يبدو للناظر لا يكلف الإنسان شيئاً ؛ لكن الشكر الحقيقي الصادق نادر كما قال الله تعالى : **(وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ)** [سبأ: ١٣] ، لذلك فتربية الإنسان على شكر الناس شكراً فعلياً حقيقياً صادقاً يعد مهمة لازمة ، وليست من المسائل المعتادة أو أنها تحصيل حاصل يجابه به الإنسان الخير المساق إليه ، لذلك قال رسول الله ﷺ : «لا يَشْكُرُ الله من لا يَشْكُرُ النَّاس»[٣١] .

وهذا الحديث يؤول على وجهين :

أحدهما : إن من كان طبعه وعادته كفران نعمة الناس، وترك الشكر لمعروفهم كان من عادته كفران نعمة الله وترك الشكر له سبحانه.

والوجه الآخر : إن الله سبحانه لا يقبل شكر العبد على إحسانه إليه إذا كان العبد لا يشكر إحسان الناس ويكفر معروفهم لاتصال أحد الأمرين بالآخر[٣٢] .

فالتربية الإسلامية لا تقتصر على بناء علاقة الإنسان مع ربه ونفسه فحسب ، وإنما شملت الآخرين ؛ لذا أدكت على أن لا يمارس حقوقه على نحو يمس بحقوق الآخرين ونظمت العلاقة بينهما ، إذ تعد دراسة القيم ضرورة لازمة على المستويين الفردي والجماعي، فالإنسان والمجموعة في تعاملهما مع الآخرين بحاجة إلى نظام تربوي يوجه سلوكه ويكون دافعاً لنشاطه، فإذا غابت هذه القيم أو تعارضت قيمه مع قيم الآخرين ؛ فإن الإنسان يغترب عن ذاته وعن مجتمعه، ويفقد دافعية العمل ويقل عطائه.

المنحى الثاني : الدروس التربوية من يوم عاشوراء :

إن الحديث عن استخلاص الدروس من الحوادث الواقعة في هذا اليوم لا يعني الحديث عن تجارب الأنبياء أو الحسين عليه السلام فهذا ما لا يسعه البحث ، ولكن المراد ذكر الدروس المتوافقة مع وقائع هذا اليوم .

إن من أبرز جوانب الحديث عن الدروس التربوية ليوم عاشوراء الحديث عن استشهاد الإمام الحسن عليه السلام والدروس التربوية المستخلصة، فضلاً عن التجارب التاريخية الأخرى إذ إن مثل هذا الحدث الجلل يقتضي ذلك ، وهذا من أعظم المقاصد التي ضحى من أجلها الإمام الحسين عليه السلام

، فقد كان استشهاده صرخة مدوية يقتضي العقل أن لا تهذب هذه التضحية سدى .

إن أول واجب تربوي هو تربية الأجيال ولاسيما النشء الجديد على عدم السكوت على الباطل، ولا أن تكون غلبة الباطل سبباً للتقاعس عن أداء واجب النصح والإرشاد ، وهذا من الدروس المستخلصة من تجربة نوح عليه السلام مع قومه ، فهو لم ينفك يدعوهم وينصح لهم على الرغم من طول مدة مكثه فيهم ، كما قال سبحانه وتعالى: **(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ)** [العنكبوت: ١٤] .

أما الحسين عليه السلام فعلى الرغم من كثرة القوة التي واجهته وقتلهم له، لكن من انتصر في الحقيقة هو الحسين ، الذي انتصر عليهم بالمبادئ والقيم والموت في سبيل الحق ؛ لأنه بلغ المنزلة التي يسعى إليها كل مؤمن وهي الشهادة في سبيل الله ، والدليل على ذلك الانتصار هو خلود الحسين حياً في ضمائر المؤمنين .

وتربية النشء الجديد على التصدي للظلم أنّى كان وأينما كان لا أن يستكينوا للظلمة ويخضعوا لهم ؛ لأن هذا سوف لن يزيد الظالمين إلا عتوا وطغياناً ، وهذا ديدن كل الطغاة ، وهذا ما تمدنا به تجربة موسى والحسين عليهما السلام .

ففرعون ـ وهذا حال أغلب الطغاة ـ على ما أوتي من قوة وجبروت كان يتخوف من ظهور الحق على يد خصومه من بني إسرائيل فعمل كل ما وسعه من الاحتياطات فجعل يستضعف خصومه ويقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم ويذبح كل مولود لبني إسرائيل؛ ولكن الظلم عاقبته وخيمة وهو مهما طال فلا بد أن ينجلي .

أما ثورة الحسين وانتفاضته وتضحيته بنفسه وبأهله من أجل إحقاق الحق خير دليل على ذلك ، وأن الدفاع عن الحق ومحاربة الباطل تتناقض كلياً مع الظلم ، بل تستوجب إشاعة العدل ؛ فإن الحسين عليه السلام عندما سار لمقارعة الظلم؛ فإنما كانت ثورة ضد كل أنواعه ، فلا يصح أن نتأسى بثورة الحسين ونحن نمارس الظلم بأي شكل من الأشكال.

ومن الدروس التربوية المهمة الواجب تربية النشء عليها : الشجاعة بشقيها الأدبي والجسدي ، فنوح عليه السلام لم ترهبه كثيرة قومه من أن يصدع بالحق ، وكذا لم ترهب فرعون عليه السلام قوة فرعون وجبروته وطغيانه، وكذلك لم يتراجع الإمام الحسين عن دعوته على الرغم من خذلان أتباعه له وتخليهم عنه ، وتركه مع ذويه أمام جيش والي الكوفة ، يقول العقاد: " ليس في بني الإنسان من هو أشجع قلباً ممن أقدم على ما أقدم عليه الحسين في يوم عاشوراء "[٣٣] .

ومن الدروس التربوية الحرص على عزة النفس وعدم ابتذالها ، والعزة:الرفعة والامتناع[٣٤] ، وهي " استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور وطلب المراتب السامية،واستحقار ما يجود به الإنسان عند العطية والاستخفاف بأوساط الأمور وطلب الغايات والتهاون بما يملكه وبذل ما يمكنه من غير امتنان ولا اعتداد به "[٣٥] ، لذلك لم يذل الأنبياء وكذا الحسين عليه السلام أنفسهم ، وفضلوا المضي قدماً في دعوتهم، وكان قدر الحسين أن يستشهد من أجل ذلك .

ومن الدروس التربوية المستنبطة من هذه الوقائع التاريخية تحقيق المساواة مع الآخرين، إذ شاركهم الأنبياء وكذا الحسين عليه السلام في السراء والضراء، وفي آمالهم و آلامهم، وعاشوا في وسطهم يتعرضون لما يتعرضون له، ولم يضعوا فاصلاً بينهم وبين الآخرين.

وهذا ما يلاحظ في قصة نوح عليه السلام إذ ركب في السفينة مع أتباعه وكان واحداً منهم ،

وكذلك الأمر مع موسى ﷺ عند هجرته ببني إسرائيل ، والحال نفسه مع الحسين ﷺ حين ساوى نفسه بمن معه ، ونال الشهادة معهم ، فهذا الأمر من القيم التربوية والأخلاقية المهمة، ولاسيما أن مأساة الحسين أكثر وقعاً من غيرها من الحوادث المهمة الواقعة في هذا الشهر أو في هذا اليوم ، لمأساويتها على خلاف قصص الأنبياء ﷺ التي انتهت قصصهم بنهاية سعيدة ، كما أن واقعة الحسين حاضرة في نفوس جميع أبناء الأمة ، وأن للحسين ﷺ تأثير كبير في النفوس، لذا فمن واجب التربويون حث النشء الجديد أو الطلبة أو حتى أبناء المجتمع على اختلاف شرائحهم على التأسي به ، وأن لا نقف على تجربته عند حدود معينة .

إن غرس القيم التربوية في نفوس الأفراد هي الضمان لتحقيق أهداف التربية الإسلامية ، وتحديد الأهداف لا بد أن يراعي شمولية تلك القيم حيث تتكامل في نواحيها العقدية والروحية والأخلاقية، وتتمثل فيها علاقة الإنسان بربه ونفسه وغيره .

إن الدروس التربوية المستنبطة ترتبط بثقافة الأمة ، لذا ينبغي عند التركيز على الدروس المستخلصة من تجارب رموز الأمة مثل الإمام الحسين ﷺ على التطبيق الواقعي الفعلي على قدر الاستطاعة ، وعدم فصل القيم التربوية عن إطارها الثقافي السليم ، ونبذ التجارب الغريبة التي ستؤدي إلى ازدواجية ثقافية ، مما يعرض هذه التجربة للذوبان بممارسات شكلية ، وينزع منها الفعالية في صياغة الشخصية الإسلامية القوية وصنع الواقع الحضاري السليم .

إن القيم التي استقى منها الحسين ﷺ قيمه هو القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة التي قام عليهما النظام التربوي الإسلامي ، وهذا يدفعنا إلى تعزيز هذه القيم، ونبذ القيم الغربية التي كرستها المذاهب المادية الوضعية .

إن بين القيم التربوية المستنبطة وشائج تعزز إحداها الأخرى ، والعلاقة التي بينها علاقة تكاملية ، فليس من المنطقي العناية بقيمة وإهمال القيم الأخرى، فالعدل يستلزم الشجاعة والحكمة ، والعزة تحتاج إلى التضحية والشجاعة، وهكذا تتداخل القيم التربوية فيما بينها لتشكل علاقة تكاملية هي هدف التربية الإسلامية.

إن من الدروس التربوية المستخلصة وجوب تعزيز صلة الإنسان بالله عز وجل ، بما يحقق مرضاة الله تعالى ، وأن الحق أو العدل ليس في تصور هذا الفرد أو في مفهوم ذاك الطرف ، بل هو ما يرضي الله تعالى، لذلك فالحكم هنا للقرآن الكريم وللشريعة المطهرة ، وهذا النظام التربوي الإسلامي يجمع شتات الإنسان ويركز طاقاته وإمكانياته حول غاية واحدة هي رضا الله عز وجل.

الخاتمة

فيما يأتي أهم النتائج والتوصيات .

أولاً ـ النتائج :

١. إن شهر محرم من الشهور الفضيلة وهو أفضل الشهور بعد شهر رمضان، وخير أيامه يوم عاشوراء .
٢. شهد يوم عاشوراء عدداً من الأحداث التاريخية المهمة ، كما كان العرب وغيرهم يعظمون هذا اليوم .
٣. عظم الرسول ﷺ هذا اليوم وأمر بصيامه شكرا لله تعالى على نجاة موسى عليه السلام من فرعون .
٤. شهد هذا اليوم حدثاً جللاً ومصاباً عظيماً تمثل باستشهاد الإمام الحسين عليه السلام نصرة للحق .

ثانياً ـ التوصيات :

١. أن يجري التركيز في المناهج الدراسية على الجانب التطبيقي السلوكي ، وأن لا تقتصر هذه المناهج على إثارة الجانب العاطفي، أو ضخ المادة المعرفية مجردة عن التطبيق .
٢. العناية بأحياء التراث التربوي الإسلامي .
٣. إظهار مآثر الأجداد ورموز الأمة وإشاعاتها لتحفيز المتلقي وتشجيعه على الاقتداء بهم .

والله من وراء القصد.

المصادر والمراجع

١. أبو الشهداء الحسين بن علي ، عباس محمود العقاد ، نهضة مصر للنشر والتوزيع ، بلا تاريخ .

٢. إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين، لأبي بكر عثمان بن محمد شطا المنوفي الدمياطي المكي السيد البكري، أكمل تحريرها سنة ١٣٠٠هـ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٨م .

٣. الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، لشمس الدين محمد بن أحمد الشربيني القاهري الخطيب ، (ت٩٧٧هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ .

٤. إيقاظ الهمم في شرح الحكم، لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي ابن عجيبة الحسني الأنجري، (ت١٢٢٤هـ)، المطبعة الجمالية، مصر، ١٩١٣م .

٥. البداية والنهاية، لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (ت٧٧٤هـ)، تحقيق عبدالله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، السعودية ، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م .

٦. الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك ، لأبي حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن محمد بن أيوب بن أزداذ البغدادي المعروف بابن شاهين ، (ت٣٨٥هـ) ، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م .

٧. تهذيب الأخلاق، لأبي زكريا يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا التكريتي، (ت٣٦٤هـ) ، مطبعة دير مرقس للسريان، القدس، ١٩٣٠م .

٨. الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي، (ت٦٧١هـ)، تحقيق هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٩. دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ ، شحاتة محمد صقر، دار الفرقان للتراث في البحيرة، ودار الخلفاء الراشدين ودار الفتح الإسلامي في الإسكندرية، بلا تاريخ .

١٠. الديباج على صحيح مسلم، لأبي الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، (ت٩١١هـ)، تحقيق أبي إسحاق الحويني الأثري، دار ابن عفان، الخبر، السعودية، ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦م .

١١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي ، (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ .

١٢. سنن أبي داود ، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، (ت٢٧٥هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، بلا تاريخ .

١٣. صحيح البخاري، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، (ت٢٥٦هـ)، تحقيق محمد زهير ناصر الناصر، دار طوق النجاة ، بيروت، ١٤٢٢هـ .

١٤. صحيح مسلم ، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ .

١٥. العين ، لأبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، (ت١٧٥هـ)، تحقيق د.مهدي المخزومي، د . إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال ، مصر، بلا تاريخ .

١٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، (ت٨٥٢هـ)، دار المعرفة ، بيروت، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م .

١٧. قواعد الأحكام في مصالح الأنام، لأبي محمد عز الدين عبدالعزيز السلمي، (ت٦٦٠هـ)، راجعه وعلق عليه طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤١٤هـ - ١٩٩١م .

١٨. كشف المشكل من حديث الصحيحين، لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

١٩. لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٦٨م .

٢٠. لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السَلامي ، (ت٧٩٥هـ)، دار ابن حزم للطباعة والنشر، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م .

٢١. مسند أحمد بن حنبل، لأبي عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني، (ت٢٤١هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرين، إشراف د عبدالله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .

٢٢. المطلع على أبواب الفقه، لأبي عبدالله محمد بن أبي الفتح البعلي ، (ت٧٠٩هـ)، تحقيق محمود الأرناؤوط ، وياسين محمود الخطيب، مكتبة السوادي للتوزيع، جدة ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م .

٢٣. معالم السنن شرح سنن أبي داود ، لأبي سليمان حَمْد بن محمد بن إبراهيم الخطَّابي البستي ، (ت٣٨٨هـ)، المطبعة العلمية ، حلب، ١٣٥١هـ-١٩٣٢م .

٢٤. المعجم الكبير ، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، (ت٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م .

٢٥. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، الشربيني ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .

٢٦. الموطأ (رواية يحيى بن يحيى)، لأبي عبدالله مالك بن أنس الأصبحي، (ت١٧٩هـ)، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي / الإمارات، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

الهوامش

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، لأبي محمد عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي، (ت٦٦٠ه)، راجعه وعلق عليه: طه عبدالرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤١٤ه-١٩٩١م: ٣٨/١.

(٢) ينظر: المطلع على أبواب الفقه، لأبي عبدالله محمّد بن أبي الفتح البعلي، (ت٧٠٩ه)، تحقيق: محمود الأرناؤوط ، وياسين محمود الخطيب، مكتبة السوادي للتوزيع، جدة ، ١٤٢٣ه-٢٠٠٣م: ١٥٠، والإقناع في حلّ ألفاظ أبي شجاع، لشمس الدين محمّد بن أحمد الشربينيّ القاهري الخطيب، (ت٩٧٧ه)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٤١٥ه : ٣٩٣/٢.

(٣) ينظر : مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، الشربيني ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ه-١٩٩٤م : ٦٦/٤ ؛ إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين، لأبي بكر عثمان بن محمد شطا المنوفي الدمياطي المكي السيد البكري، أكمل تحريرها سنة ١٣٠٠هـ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٨م : ٢١٤/٢ .

(٤) سنن أبي داود ، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، (ت٢٧٥هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، بلا تاريخ : ٩٦/٤ ، رقم (٢٤٢٩) .

(٥) ينظر : لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، لزين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب السَلامي، (ت٧٩٥ه)، دار ابن حزم للطباعة والنشر، ١٤٢٤ه-٢٠٠٤م : ٣٦ .

(٦) ينظر : المصدر نفسه : ٣٥ .

(٧) لطائف المعارف : ٣٤ .

(٨) ينظر : المصدر نفسه : ٣٤ ـ ٣٥ .

(٩) مسند أحمد بن حنبل، لأبي عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني، (ت٢٤١هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرين، إشراف د عبدالله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م: ٤٤١/٢ ، رقم (١٣٢٢) .

(١٠) ينظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي ، (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ : ٢٩٥/٨.

(١١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي، (ت٦٧١هـ)، تحقيق هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م : ٣٤١/٩ .

(١٢) ينظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، (ت٨٥٢هـ)، دار المعرفة ، بيروت، ١٣٧٩هـ ـ ١٩٦٠م : ٢٤٥/٤ .

(١٣) المعجم الكبير ، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، (ت٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م : ٦٩/٦ ، رقم (٥٥٣٨) .

(١٤) مسند أحمد : ٣٩٧/٨ ، رقم (٨٧٠٢) .

(١٥) صحيح البخاري، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، (ت٢٥٦هـ)، تحقيق محمد زهير ناصر الناصر، دار طوق النجاة ، بيروت ، ١٤٢٢هـ : ٤٤/٣ ، رقم (٢٠٠٤) .

(١٦) صحيح مسلم ، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ : ٧٩٦/٢ ، رقم (١١٣١) .

(١٧) صحيح مسلم : ٧٩٦/٢ ، رقم (١١٣١) .

(١٨) الموطأ (رواية يحيى بن يحيى)، لأبي عبدالله مالك بن أنس الأصبحي، (ت١٧٩هـ)، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي / الإمارات،١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م : ٤٢٨/٣ ، رقم (١٠٥٢) .
(١٩) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ ، شحاتة محمد صقر، دار الفرقان للتراث في البحيرة، ودار الخلفاء الراشدين ودار الفتح الإسلامي في الإسكندرية، بلا تاريخ : ٥٢٣ .
(٢٠) المعجم الكبير : ١٣٨/٥ ، رقم (٤٥٧٦) .
(٢١) صحيح مسلم : ٧٩٧/٢ ، رقم (١١٣٢) .
(٢٢) المصدر نفسه : ٧٩٨/٢ ، رقم (١١٣٤) .
(٢٣) فتح الباري : ٢٤٥/٤ .
(٢٤) ينظر : البداية والنهاية، لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (ت٧٧٤هـ)، تحقيق عبدالله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، السعودية،١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م : ٥٦٩/١١ .
(٢٥) الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك ، لأبي حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن محمد ابن أيوب بن أزداذ البغدادي المعروف بابن شاهين ، (ت٣٨٥هـ) ، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م : ٨٩ ، رقم (٢٧٨) .
(٢٦) مسند أحمد : ٤٨/١٦ ، رقم (٩٩٧٤) .
(٢٧) الديباج على صحيح مسلم، لأبي الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، (ت٩١١هـ)، تحقيق أبي إسحاق الحويني الأثري، دار ابن عفان، الخبر ـ السعودية، ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦م : ٣٤٩/٥ .
(٢٨) ينظر : كشف المشكل من حديث الصحيحين، لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد المعروف بابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م : ٣٥٥/٢ .
(٢٩) ينظر : العين ، لأبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، (ت١٧٥هـ)، تحقيق د . مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال ، مصر ـ بلا تاريخ : مادة (شكر) ٢٩٢/٥.
(٣٠) ينظر : إيقاظ الهمم في شرح الحكم، لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري، (ت١٢٢٤هـ)، المطبعة الجمالية، مصر، ١٩١٣م : ٧٧ .
(٣١) سنن أبي داود : ١٨٨/٧ ، رقم (٤٨١١) .
(٣٢) ينظر : معالم السنن شرح سنن أبي داود ، لأبي سليمان حَمْد بن محمد بن إبراهيم الخطَّابي البستي، (ت٣٨٨هـ)، المطبعة العلمية ، حلب، ١٣٥١ه-١٩٣٢م : ١١٣/٤ .
(٣٣) أبو الشهداء الحسين بن علي ، عباس محمود العقاد ، نهضة مصر للنشر والتوزيع ، بلا تاريخ : ٤٦.
(٣٤) ينظر : لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٦٨م : مادة (عزز) ٢٢٨/٦ .
(٣٥) تهذيب الأخلاق، لأبي زكريا يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا التكريتي، (ت٣٦٤هـ) ، مطبعة دير مرقس للسريان، القدس، ١٩٣٠م : ٣٠ .